الاصيل للرسم العربي ، وايمانه بقيمته ، يبعثان في كتابه حرارة ودفئاً دون ان يفسدا الروح العلمية فيه ، مما يجعله محبباً للقراء مستساغا لديهم .

وفي الفصل الاخير من الكتاب ، ولعله امتع فصوله ، يلخص اتنغهوزن خصائص اسلوب الرسم العربي : فيصفه بأنه ذو حس بنائي قوي ، والوان جريئة ، وبأنه عديم الاهتمام بالجسم البشري ، ومعنيّ بالايدي والوجوه ، وبناحية الزخرف والتزويق ، ومتفوق في رسم اشكال الحيوانات . ثم يتطرق الى ذكر مواضيع الرسوم العربية ، ويركز على ثلاثة رئيسية منها وهي : فكرة الفخامة والسيطرة الكونية ، والاهتمام العلمي بطبيعة العالم المادي ، والعناية بالكلام كنشاط انساني — ويمثل عدد كبير جداً من الرسوم التي تبقت لنا هذا النشاط المفضل في مظاهره المختلفة ، كالتعليم والوعظ والنصح والالتماس بل (في حال ابي زيد) والمداهنة . ويذكرنا المؤلف في خاتمة مطافه بنقائص فن الرسم العربي ، التي يجب ان نأخذها بعين الاعتبار اذا اردنا ان نخرج بحكم متزن عليه ، وهي : عدم وجود اية وظيفة دينية له ، وانعدام الحس الفنائي ، وغياب صور الاشخاص ، وفقدان المواضيع التاريخية والملحمية ، وعدم الاهتمام بالجسم البشري . فهل نقول ، اذ نقرأ هذه القائمة من النقائص ، ان فن الرسم عند العرب من الفنون الثانوية الاهمية ؟ يقول اتنغهوزن ان على الرسوم ان تتكلم عن نفسها ، وانها توحي بأحاسيس مختلفة للمتفرجين المختلفين : اما انا فقد رأيت ان في افضلها اصالة وحيوية كانت تبشر بوعود هائلة ، وانها حتى بشكلها الحالي تجعل الرسوم الفارسية تبدو وقد بولغ كثيرا في قيمتها . ولا يسع المرء الا ان يتحسر على ما فقد ، وان يأمل ان يستوحي الفنانون العرب المعاصرون تلك الروح التي اذكت مواهب اسلافهم .

روزموري صايغ

المرأة العربية ومشكلتها الجنسية

Le drame sexuel de la femme dans l'Orient Arabe, par Youssef el Masry . Robert Lattout, Paris, 1962

قبل سنين ظهر للاديبة والمفكرة الفرنسية سيمون ده بوفوار مؤلف ضخم حللت فيه ، بكثير من الوضوح وبقليل من روح الدعاية ، وضع المرأة عامة وخصت فيه جميع وجهات النظر في كل مكان . اما كتاب الاستاذ يوسف المصري الذي نحن بصدده فليس اكثر من حاشية ذات لون محلي ، والعنوان الذي اختاره له اعتمد فيه ولا شك ان يغري القارىء على شراء الكتاب ؛ لكنه عنوان بعيد عن الدقة . فالكتاب في الواقع اثنان ، واحد يتحدث عن عادة تعاطي الحشيش في وادي النيل وما تؤول اليه من مساوىء ، ويعطي المؤلف تفسيرات لهذه العادة ؛ والثاني يصف باسهاب وضع المرأة من الناحية الاجتماعية والقانونية في العالم العربي ، او بالاحرى في الجمهورية العربية المتحدة والسودان بالدرجة الاولى ومن ثم في الاردن وسوريا ولبنان .

ويأخذ المؤلف موقفا تحرريا لا غبار عليه في معالجته لوضع المرأة : فهو يؤمن انه ليس من الحق ان تشوه الفتيات في طفولتهن ، وان يبعن ويشرين في شبابهن ، وان تعامل المتزوجات بالقسوة ، وان يحرم على النساء مهما كان عمرهن او مقامهن الاجتماعي ممارسة كافة حقوقهن القانونية! ويؤمن ايضا انه من الرياء ان توقع بلدان على بيان حقوق الانسان وتحتفظ بنصف مجموع سكانها في حالة عبودية ورق ! هذا هو موقف صاحب الكتاب – وكي يقنع القراء بصحة هذه الصورة الخارقة التي يرسمها والتي تجعله يتخذ منها هذا الموقف ، نراه يعطي قائمة طويلة ، تثير نقمته وسخطه ، للجرائم التي يجري ارتكابها باستمرار في البلدان العربية – ولنذكر ان هذه البلدان التي انتقاها هي المتقدمة في مضمار المدنية على سواها !

فحياة المرأة العربية كما يصورها واضحة المعالم وتتلخص باختصار فيما يلي : في طفولتها تشوّه كيما تصد في المستقبل عن تلويث شرف العائلة ، ويجري هذا التشويه بطريقة غير صحية وبدون استعمال مخدر لتخفيف الالآم . بعد هذا، وفي ابكر عمر ممكن (لان الفتاة ، على الرغم حتى من التجربة السابقة التي عانتها والتي يظن المرء انها كانت لتحد من رغبة امرأة مثل كليوباترة ذاتها ، قد تقع ضحية لمفاتن الرجال التي لا تقاوم !) تباع الفتاة زوجة ، ويفضل في الزوج ان يكون متقدما في السن ذا رصيد كبير في البنك . ويروي المؤلف ان هذه العادة تؤدي احيانا الى متاعب يقاسي منها الرجال : ففي الكويت مثلا ، كان من نتيجة تدفق اموال البترول ووفود حشد كبير من الشبان الفلسطينيين والسوريين واللبنانيين العازبين اليها طلبا للرزق ، ان ارتفعت قيمة المهر الى ان وصلت ارقاما خيالية . بل ان الحزب الشيوعي في الكويت انما حظي بالتشجيع والمناصرة لانه نادى بتحديد قيمة المهر . كما يروي لنا ان مؤسسات تعاونية قامت في الجمهورية العربية المتحدة سنة ١٩٥٩ كيما تسهل عقد زواجات على اساس « الشراء بالتقسيط » ، وان جريدة « الاهرام » عندما ذكرت ، في معرض مقال طويل عام نشرته عن الافغان ، ان مهر الفتاة هناك قيمته ٣٣ قرشاً مصرياً انهالت الرسائل على مكاتبها اسابيع عديدة . ولا يكتفي المؤلف بتصوير ما تسببه هذه العادة من مشاكل مالية للرجال ، بل يتعرض لما تسببه من مشاكل للنساء ايضا ، ويقول ان انباء الصحف عامرة بوصفها ، وان احتجاج المرأة يتخذ اشكالا شتى، اوسعها انتشارا هو صبها الكاز على ملابسها واعطاؤها ذاتها طعمة للنار . بعد هذا تأتي المرحلة الثالثة ، مرحلة الحياة الزوجية . كلنا يعرف ان الحياة الزوجية ليست حياة هناء ، الا في الاقاصيص الخرافية ، لكن ليس ثمة مكان كالبلدان العربية كما يصورها المؤلف تتخذ فيه الحياة الزوجية طابعاً كريها منفرا ، بالنسبة للمرأة . فهي آلة انتاج فحسب ، وحيوان للقيام بالاعباء ، وخادم للاعمال الشاقة، لزوجها الحق في ان يضربها بحكم القانون، وان بادلته الضرب كان نصيبها السجن . وتهددها مخاطر جمة على الدوام ، تقف فوق رأسها كالسيف المسلول : كالعقم، وانجاب البنات فحسب ،والاقاويل والاشاعات التي قد تكلفها حياتها ، وتعدد الزوجات (ولو ان هذا يبدو للمراقب رحمة وتخفيفا للآلام والمتاعب ، اذا تذكرنا ما تلقاه المرأة من عناء ونصب نتيجة تصرفات الرجل !) ، والطلاق او الهجر ان شاء الرجل ، بدون امل كبير في اجباره على دفع نفقة لها ، و « الطاعة » التي تضطر المرأة على ان تعيش مع زوجها الا ان تم الطلاق رسمياً بينهما . ويذكر المؤلف ايضاً انه كثيراً ما يجري استخدام رجال الشرطة للعثور على النسوة اللاتي يهربن من بيوتهن ، ولردهن لازواجهن .

الا ان الطبيعة ، في النهاية ، عادلة ومبالة الى حفظ التوازن : لذا فقسم كبير من هذا الشقاء الذي يخيم على حياة المرأة يرتد على الرجل . فاذا لم تكن للمرأة حقوق ولا مسؤوليات ، نجم عن ذلك ، بحكم منطق نادر الوجود في المعركة بين الجنسين ، انها حين تقترف ما يسبب عارا يعود هذا العار على اسرتها ، لا عليهـــا هي ! ومما يستدعي الاستغراب ان اخا المرأة . لا زوجها ، هو الذي يعنيه الامر مباشرة ، وهو الذي يأخذ على عاتقه مهمة قتلها ان كان ذلك بامكانه. ويروي لنا المؤلف قصة مؤثرة عن رجل لوثت ابنته شرف عائلته ، لكنه كان طاعنا في السن ، ولما لم يكن له ابناء ، وكان مريضا فلا يستطيع ان يغسل بذاته عار ابنته ، جاء لنجدته عندما عرف عن مشكلته قاتل محترف طيب القلب ، وادى مهمته بالنيابة عنه ، مجانا لوجه الله . والواقع ان صاحب الكتاب يسرد عددا هذا قدره من القصص المقتبسة من الصحف ، بحيث جعل كاتبة هذه الاسطر تشعر بشيء من العطف على جميع اولئك الاخوان المساكين الذين عليهم ان يتراكضوا باستمرار تحت الشمس القائظة استردادا للشرف السليب . بل ان الشرف الذي تلوثه المرأة لا تسلبه اخاها واباها وزوجها واهلها فحسب ، بل احياناً وفي بعض الاماكن تسلبه القرية بكاملها — مما يجعل المرء يتخيل صورة للنساء العربيات جميعا وهن يقمن بدور معاكس لدور لزستراتا (التي حملت رفيقاتهـــا الاغريقيـــات على الامتناع عن معاشرة ازواجهن جسدياً) ويلوثن شرف الجميع بدون استثناء ابـــدا !

هذه الصورة للمرأة العربية اليوم وضعها المؤلف باللغـــة الفرنسية ، وبعنوان مغر يستهوي قراء بيبرلوتي . وكتابه ليس تحليلا لسرطان اجتماعي ، ولا هو مجموعة من الحقائق — واو ان فيه كثيرا من القصاصات الصحفية والارقام ، انما غالبا بدون اي ذكر لمصادرها واصولها . والسؤال الذي لا يترك ذهن القارىء طوال قراءته الكتاب هو : اي اثر حقيقي مفيد لمثل هذا الكتاب ؟

ثريا انطونيوس